تفسير
النبي صلى الله عليه وسلم
للقرآن

محسن خلف سليمان

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تفسير النبي ﷺ للقرآن

نبذة مختصرة:

موضوع البيان النبوى للقرآن الكريم من أهم ما يُبذل فيه نفيس الوقت والورِق، فهو العماد الثانى لفهم الأصل الأول للإسلام، ففاقت عناية العلماء به غيره مما سُودت به الصُحف، أو سار به الركبان، وما كنت لأضع قدم بين أهل العلم بهذا البحث المتواضع، وإنما هو التَعَلُم والتدريب.

الطالب / محسن خلف سليمان أحمد

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعملنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا.

أما بعد،،،

فهذا بحث في " **البيان النبوي للقرآن الكريم**"، ضمن برنامج الدراسة بالمستوى الأول **بأكاديمية التفسير**، جزى الله القائمين عليها خير الجزاء على ما يقدمون لهذا العلم الجليل، وقد حاولت قدر المستطاع أن يكون البحث مركز ومحددا في مواضيعه نظرا لأن حجم البحث محدد من قبل الأكاديمية، وإلا فهناك بعض الأبحاث كانت تحتاج لاستطراد أكثر، ولكن هذا جهد المقل، والحمد لله أولاً وآخرا.

مشكلة البحث

البيان النبوي للقرآن الكريم وأقسامه، والكم الذي فسره النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن.

حدود البحث

الحدود الزمانية: العهد النبوي وعهد الصحابة، وكذلك الفترة التي تسبقهما لبيان القدرة اللغوية عند الصحابة رضى الله عنهم.

الحدود المفاهيمية: يدور البحث حول تفسير النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن تفسيرا مباشرا حقيقة أو حكما.

أهداف البحث

١- محاولة استقصاء طرق بيان النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن وطرق تقسيمها.

٢- محاولة تحرير مسألة القَدْر الذي فسره النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن.

٣- الوصول اليقيني لأن الشرع ليس فيه شيئا مجملا لم يُبين لنا من خلال النصوص المعصومة.

٤- بيان أن الشريعة منزهة عن الغموض والتعقيدات التي لا يقبلها العقل البشري، وأن مصدر الوحى واحد، والوحى لا يتعارض ولا يتناقض.

منهج البحث

كان عملى في البحث كما يلي:

١- جمع المادة العلمية المتعلقة بالأبواب من مظانها في الكتب الأصلية، وإن تعسر ذلك أرجع للمصادر الثانوية.

٢- البحث على الشبكة العنكبوتية، فإن أشار أحد الكُتَّاب لمسألة في كتاب من الكتب الأصيلة رجعت للكتاب الأصلى واستخرجت المعلومة منه مباشرة.

٣- أعلق بقدر المستطاع على ما يتم نقله، مع الاختصار الشديد نظرا لما تقتضيه طبيعة البحث.

٤- وثقتُ النقل للمصادر التي نقلت منها.

٥- خرجت الأحاديث والآثار من كتب السنة للأئمة أنفسهم، وإن نقلت عمن نقل عنهم أذكر ذلك، وإن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما أكتفيت به، وإن كان في غيرهما ذكرته، مع ذكر حكم المحدثين عليه إن كان مرفوعا حقيقة أو حكما.

٦- التقسيمات والتفريعات داخل الفصول من عملي ما لم أذكر مصدرا آخر.

٧- قد استطرد بعض الشيء في القضايا التي لا أعلم أنها بُحثت (في حدود علمي) مثل إثبات أن الصحابة ليس لهم فقط علم بالعربية، بل أنهم أفصح أجيال العرب، وأختصر في القضايا التي بُحثت وانتشرت واشتهرت.

٨- استفدت من إرشادات وتوجيهات بعض المقالات على الإنترنت، ولكن لم أتمكن من ذكرها لكثرتها، ولكن أذكر فقط من نقلت عنه.

خطة البحث

البحث فيه مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وفهارس، ثم ذِكْرُ المراجع، على النحو التالي:

تمهيد وفيه:

تحرير مصطلح "التفسير النبوي للقرآن"، و منزلة السنة من القرآن.

الفصل الأول: بيانُ القرآنِ الكريم هو مهمة النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه:

بيان القرآن هو الوظيفة الأساسية للنبي صلى الله عليه وسلم، وأنه بيَّن صلى الله عليه وسلم لأصحابه كل ما يحتاج لبيان.

الفصل الثاني: طرق بيان النبي –صلى الله عليه وسلم– للقرآن الكريم، وفيه:

أولا: بيان الألفاظ.

ثانيا: بيان المعاني، وتم تقسيمه بالاعتبارات التالية:

التقسيم باعتبار سبب البيان، التقسيم باعتبار محتوى البيان، التقسيم باعتبار طريقة البيان، التقسيم باعتبار الاحتياج للبيان، التقسيم باعتباره بيان نبوي حقيقة أو حكما.

الفصل الثالث: هل فسر النبي صلى الله عليه وسلم كل القرآن .

الفصل الرابع: مظَانُّ تفسير النبي صلى الله عليه وسلم.

*****

تمهيد

تحرير مصطلح "التفسير النبوي للقرآن"

عرف الدكتور مساعد الطيار التفسير النبوي للقرآن بقوله: "يمكن القول بأن كل إفادة يستفيدها المفسر من السنة في بيان القرآن وتفسيره فإنها من التفسير بالسنة، وهذه الإفادة من عمل المفسر واجتهاده في الغالب. أما التفسير النبوي، فيلحظ فيه إضافته إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ويمكن أن يقال: هو كل قولٍ أو فعلٍ صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم صريحاً في إرادة التفسير."[1] أ.هـ، وعبارة " فيلحظ فيه إضافته إلى النبي صلى الله عليه وسلم " يُستحسن أن يضاف إليها عبارة "حقيقة أو حكما" حتى يشمل ما له حكم الرفع من أقوال الصحابة، مما لا مجال فيه للرأي، وقد اعتُرض على كلمة "صريحا" بأنها لن تُدخل غير الصريح من قول النبي صلى الله عليه وسلم [2]، وفي هذا نظر حيث أن كلمة "صريحا" ممكن أن تكون حالاً لكلمة "إرادة"، وليست حالاً لكلمة "قول"، وكذلك اعتُرض على عدم إضافة تقرير النبي صلى الله عليه وسلم، ومما سبق يتضح أن التعريف الأقرب – والله أعلم – أن يقال: **هو كل قول أو فعل أو تقرير صدر عن النبي** صلى الله عليه وسلم **حقيقة أو حكما، صريحا في إرادة التفسير.**

منزلة السنة من القرآن

القرآن والسنة هما الأساس الأول الذي يُبنى عليه تفسير القرآن، والسنة تفسر القرآن وتبينه، وهي الأصل في فهمه، وتقديم القرآن على السنة في الاستدلال أو التفسير لا وجه له، فالقرآن والسنة كيان واحد من حيث الاستدلال بهما، فلا تتعارض آية مع حديث صحيح من كل وجه، لأن الشرع الحكيم منزه عن هذا، ومن هنا تأتي أهمية اقتران القرآن بالسنة عند التفسير.

قال الإمام أحمد – رحمه الله – " السنة تفسر القرآن وتبينه"[3]، وقال ابن عبد البر – رحمه الله – بعد ذكر بعض الآثار في ذلك: " الآثار في بيان السنة لمجملات التنزيل قولا وعملا، أكثر من أن تحصى"[4]، وقال أيضا " أهل البدع أجمع أضربوا عن السنة، وتأولوا الكتاب على غير ما بيَّنت السنة، فضلوا وأضلوا، ونعوذ بالله من الخذلان"[5] أ.هـ.

قال الألباني – رحمه الله – في مقال له بعنوان(كيف يجب أن نفسر القرآن) "ولذلك كان من أصول التفسير وقواعد علم التفسير، أنه يجب تفسير القرآن بالقرآن والسنة،... ولا ينبغي أن نقول: بالرجوع إلى القرآن ثم السنة؟ لأن هذا فيه تصريح بأنها في المرتبة الثانية، نعم. السنة من حيث ورودها هي بالمنزلة الثانية بالنسبة للقرآن الذي جاءنا متواتراً، ولكن من حيث العمل: السنة كالقرآن، لا يجوز أن نفرق بين كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ".

١- من مقال بعنوان مصادر التفسير: التفسير بالسنة لمساعد الطيار.

٢- هذا الاعتراض من الدكتور خالد الباتلي. (التفسير النبوي: ١/ ٥٤).

٣- جامع بيان العلم وفضله (١١٩٤).

٤- جامع بيان العلم وفضله ، ١١٩٥.

٥- جامع بيان العلم وفضله ، ١١٩٩.

الفصل الأول: بيان القرآن الكريم هو مهمة النبي صلى الله عليه وسلم

أرسل الله – عز وجل – نبيه صلى الله عليه وسلم بدين الهدى والحق ليظهره على الدين كله، وهذا الدين الخاتم إنما كان وحيا يوحي، والوحي قرآن وسنة، ولما كان القرآن الكريم هو الكتاب الخاتم الذي سيهدى الناس إلى يوم القيامة فقد اشتمل على كليات هذا الدين ومقاصده، فكان لابد من توضيح لهذه الكليات وإرشاد لهذه المقاصد، وبيان لما أُشكل، وبَسط لما أُختصر فكانت سنة النبي صلى الله عليه وسلم هي المعين الذي لا ينضب، وفي هذا يقول الشاطبي – رحمه الله –: "السنة راجعة في معناها إلى الكتاب؛ فهي تفصيل مجمله، وبيان مشكله، وبسط مختصره، وذلك لأنها بيان له، وهو الذي دل عليه قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[1] (النحل:٤٤)، فلا تجد في السنة أمرا إلا والقرآن دل على معناه دلالة إجمالية أو تفصيلية؛ وأيضا كل ما دل على أن القرآن هو كلية الشريعة وينبوع لها فهو دليل ذلك لأن الله قال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم:٤)، وفسرت عائشة ذلك بأن خلقه القرآن، واقتصرت في خلقه على ذلك؛ فدل على أن قوله وفعله وإقراره راجع إلى القرآن"[2] أ.هـ.

بيان القرآن هو الوظيفة الأساسية للنبي صلى الله عليه وسلم

قال الشافعي – رحمه الله –:" وسنن رسول الله مع كتاب الله وجهان: أحدهما: نصُ كتابٍ فاتَّبعه رسول الله كما أنزل الله. والآخر جملة[3]، بيَّن رسول الله فيه عن الله معنى ما أراد بالجملة، وأوضح كيف فَرَضَها عاما أو خاصا، وكيف أراد أن يأتي به العباد، وكلاهما اتبع فيه كتاب الله"[4] أ.هـ.

ثم قال – رحمه الله –: " فلم أعلم من أهل العلم مخالفا في أن سُنن النبي من ثلاثة وجوه، فاجتمعوا منها على وجهين، والوجهان يجتمعان ويتفرعان، أحدهما: ما أنزل الله فيه نصَ كتابٍ فبيَّن رسول الله مثل ما نص الكتاب، والآخر: مما أنزل الله فيه جملة كتاب، فبيَّن عن الله معنى ما أراد، وهذان الوجهان اللذان لم يختلفوا فيهما.... "[5] أ.هـ.

فكما نرى أن الشافعي يقرر أنه لا خلاف في أن البيان عما في كتاب الله – عز وجل – هو من وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم وإنما الخلاف فيما وراء ذلك من استقلال النبي صلى الله عليه وسلم بالتشريع.

١- ليس المقصود من الآية أن السنة لا تستقل بالتشريع ، قال عبد الغني عبد الخالق في التعليق على هذا في الموافقات (كما نقله الشيخ مشهور حسن في الهامش) : " إذ كل ما فُهم من هذا الحصر أنه إنما أنزل الكتاب ليبينه – ﷺ – للناس ، لا ليهمل بيانه ، وهذا لا ينفي أنه قد يستقل بسن أحكام لا نص عليها في الكتاب" أ.هـ.

٢- الموافقات ، ٣١٢/٤.

٣- أي: مجملا.

٤- الرسالة ، ١٦٨ ، فقرة ٢٩٨.

٥- الرسالة ، ١٦٨ ، فقرة ٢٩٩ وبعدها.

بل إن الله – عز وجل – إنما أرسل الرُسل بلغة أقوامهم ليتحقق هذا البيان لمراد الله – عز وجل – منهم، وبيان أحكامه لهم، قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ** ﴾ (إبراهيم:٤)، قال الإمام الطبري: " ليفهمهم ما أرسله الله به إليهم من أمره ونَهيه، ليُثْبت حجة الله عليهم"[١] أ.هـ.

وفي قوله تعالى: ﴿**لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ (النحل: ٤٤)، يقول الإمام الطبري: "لتعرفهم ما أنزل إليهم من ذلك"[٢] أ.هـ، وفي قوله تعالى ﴿**وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ (النحل:٦٤) يقول الإمام الطبري: " يقول – تعالى ذكره – لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وما أنزلنا عليك كتابنا وبعثناك رسولا إلى خلقنا إلا لتبين لهم ما اختلفوا فيه من دين الله، فتعرّفهم الصواب منه، والحقّ من الباطل، وتقيم عليهم بالصواب منه حجة الله الذي بعثك بها."[٣] أ.هـ.

إن الله – عز وجل ذكر في كتابه العزيز أن وظيفة النبي – صلى الله عليه وسلم – منحصرة في البلاغ الذي فيه الإبانة[٤] فقال تعالى ﴿ **وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**﴾ (النور:٥٤)، قال السعدى – رحمه الله –: " أي: تبليغكم البيّن الذي لا يبقي لأحد شكًا ولا شبهة، وقد فعل صلى الله عليه وسلم، بلغ البلاغ المبين"[٥] أ.هـ، وقال الإمام الطبري – رحمه الله –: " يقول: وغير واجب على من أرسله الله إلى قوم برسالة إلا أن يبلغهم رسالته بلاغا يبيّن لهم ذلك البلاغ عما أراد الله به"[٦]أ.هـ.

قال ابن أبي حاتم: " فإن الله عز وجل ابتعث محمدا رسوله صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة، وجعله موضع الإبانة عنه فقال: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾ (النحل:٤٤)، وقال – عز وجل –: ﴿**وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ**﴾ (النحل:٦٤)، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المبين عن الله – عز وجل – أمره، وعن كتابه معاني ما خوطب به الناس، وما أراد الله عز وجل به وعنى فيه..." إلى أن قال: " فثبت – عليه السلام – حجة الله – عز وجل – على خلقه بما أدى عنه وبيَّن من محكم كتابه ومتشابهه، وخاصه وعامه، و ناسخه ومنسوخه، وما بشر وأنذر"[٧] أ.هـ.

١- تفسير الطبري ، ١٣/ ٥٩٣.

٢- تفسير الطبري ، ١٤/ ٢٣٢.

٣- تفسير الطبري ، ١٤/ ٢٦٨.

٤- ذكر الدكتور محمد الأشقر – رحمه الله – أنه بالاستقراء تبين أن للنبي – صلى الله عليه وسلم – خمس مهمات ، وهي التبليغ ، وبيان القرآن ، والدعوة ، وتعليم الأمة القرآن والسنن ، والتزكية. أ.هـ (الأفعال النبوية ١/ ٣٨). وكل هذا إما من البلاغ المبين أو من وسائله.

٥- تفسير السعدي ، ٤/ ١١٧٦.

٦- تفسير الطبري ، ١٧/ ٣٤٥.

٧- الجرح والتعديل ، ١/ ١.

بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه كل ما يحتاج لبيان

وقال شيخ الإسلام – رحمه الله –: " يجب أن يُعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم بَيَّنَ لأصحابه معاني القرآن كما بين لهم ألفاظه، فقوله تعالى:﴿**لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾ (النحل:٤٤) يتناول هذا وهذا، وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً. ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة. وقال أنس: كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جَلَّ في أعيننا. وأقام ابن عمر على حفظ البقرة عدة سنين، قيل: ثماني سنين، ذكره مالك. وذلك أن الله تعالى قال: ﴿**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ**﴾ (ص:٢٩)، وقال:﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ**﴾ (النساء:٨٢، محمد:٢٤)، وقال: ﴿**أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ**﴾ (المؤمنون:٦٨)، وتدبر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن، وكذلك قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ (يوسف:٢) وعقل الكلام متضمن لفهمه. ومن المعلوم أن كل كلام فالمقصود منه فهم معانيه دون مجرد ألفاظه، فالقرآن أولى بذلك. وأيضاً، فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتاباً في فن من العلم كالطب والحساب ولا يستشرحوه، فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم، وبه نجاتهم وسعادتهم، وقيام دينهم ودنياهم؟"[١] أ.هـ.

قال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – معلقا على هذا الكلام: " فهذه الآثار دليل على أنّ النبي – صلى الله عليه وسلم – بيَّن معاني القرآن الكريم لأصحابه، واستدل بها الإمام أبو جعفر في مقدمة تفسيره على ما سبق من بيان النبي – صلى الله عليه وسلم – للقرآن "[٢] أ.هـ.

وأقوال الأئمة سلفا وخلفا في هذا كثيرة جدا، وإنما اقتصرت منها على ما جرى به القلم من أقوال بعض الأكابر؛ مراعاة للمقام وطلبا للاختصار، وفيما ذُكر تنبيها على ما لم يذكر والله الموفق للصواب.

نكتة

كل ما قُبل على أنه حجة ودليل في تفسير القرآن أو بيان لما فيه، من الإجماع أو أقوال الصحابة – رضوان الله عليهم – أو التابعين (عند من يرى ذلك)، إنما قُبل لأنه مظنة الدليل القائم بنفسه، وهو إما القرآن أو بيان النبي صلى الله عليه وسلم، أو لغة العرب، وليس الاستدلال به لذاته بل لما احتواه من دليل، عُلم هذا الدليل أو لم يُعلم، والله أعلم.[٣]

*****

١ – شرح مقدمة التفسير لمساعد الطيار ، ٣١.

٢– شرح مقدمة التفسير لابن تيمية.

٣– مستفاد من تقسيم التلمساني للأدلة في كتاب "مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول".

الفصل الثاني: طرق بيان النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن الكريم

كان الصحابة يعيشون القرآن مع النبي في كل حياتهم ومواقفهم اليومية، فلم يكن القرآن بالنسبة لهم مجرد محاضرة في المسجد يلقها النبي صلى الله عليه وسلم، بل كان القرآن حيا نابضا في حياتهم كلها، وكان نتيجة لذلك أن تعددت الطرق التي بيّن بها النبي صلى الله عليه وسلم مراد الله في كتابه، فبيان النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن كان على ضربين، وهما بيان ألفاظه، وبيان معانيه، فقد قال الله تعالى ﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ**﴾ (القيامة:١٧)، وهذا بيان الألفاظ، ثم قال تعالى ﴿**وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾ (القيامة:١٩) وهذا بيان المعاني، وبيان هذين الضربين على النحو التالي:

أولا: بيان الألفاظ

ففي الصحيحين عن عمر بن الخطاب قال: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأنيها، وكدت أن أعجل عليه، ثم أمهلته حتى انصرف ثم لببته بردائه، فجئت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: إني سمعت هذا يقرأ على غير ما أقرأتنيها. فقال لي: أرسله: ثم قال له: اقرأ، فقرأ. قال: هكذا أنزلت. ثم قال لي اقرأ فقرأت فقال هكذا أنزلت. إنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا منه ما تيسّر.[1]

وكذلك تعليمه لأصحابة كيفية القراءة، وأوجه القراءات، وقراءته للسور المختلفة في الصلاة، وسماع القرآن منه خارج الصلاة، وطلبه من أصحابه أن يقرأوا عليه القرآن، وتوصيته بأخذ القرآن عن أناس معينين من أصحابه، وغيرها الكثير مما يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم بيّن لأصحابه ألفاظ القرآن بيانا تاما شافيا.

وعن أم سلمة — رضى الله عنها – قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ قطع آية آية. وعنها : أنها نعتت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا.

وقال قتادة : سألت أنس بن مالك — رضى الله عنه – عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: كان يمد صوته بالقرآن مدا. وعن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه–: كان النبي صلى الله عليه وسلم حسن الصوت مادا ليس له ترجيع.

وتوصية النبي صلى الله عليه وسلم بأن يؤخذ القرآن عن نفر معينين من أصحابه، فيه دليل على التوجيه للقراء الذين أجادوا وأتقنوا القرآن عنه، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "خُذُوا القرآن من أربعة: من عبدالله بن مسعود، وسالمٍ، ومعاذ، وأبي بن كعب"[2].

١- البخارى ، كتاب الخصومات (٢٤١٩) ، كتاب فضائل القرآن (٤٩٩٢) ، ومسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها (١٩٠٠).

٢- البخاري ، فضائل القرآن (٤٩٩٩) ، ومسلم (٦٣٣٨).

وعن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن".[1]

فهذه الآثار وغيرها الكثير يدل دلالة واضحة على اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بتعليم أصحابه القراءة الصحيحة، وحرص الصحابة على ذلك.

وقد جمع ابن القيم الأحاديث الواردة في صفة قراءة النبي **صلى الله عليه وسلم**، ثم قال بعدها "كان له **صلى الله عليه وسلم** حِزب يقرؤه ولا يُخِلُّ به، وكانت قراءتُه ترتيلاً لا هذًّا ولا عجلة، بل قِراءةً مفسَّرة حرفاً حرفاً، وكان يُقَطِّع قراءته آية آية، وكان يمدُّ عند حروف المد، فيمد (الرحمن)، ويمد (الرحيم)، وكان يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم في أول قراءته، فيقول: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)، وربما كان يقول: (اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه، ونفثه) وكان تعوذه قبل القراءة، وكان يحب أن يسمع القران من غيره، وأمر عبد الله بن مسعود، فقرأ عليه وهو يسمع، وخَشَع **صلى الله عليه وسلم** لسماع القرآن مِنه حتى ذرفت عيناه."

ولاشك أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قد علم أصحابه ألفاظ القرآن بالطريقة الصحيحة التي نُقلت إلينا تواترا كما نزل بها جبريل عليه، وكما استقرت في العرضة الأخيرة.

ثانيا: بيان المعاني

لاشك أن فهم القرآن وفهم معانيه والعمل به، هو المقصود الأكبر، والهدف الأسمى الذي يضعه الصالحون نصب أعينهم، ولا سيما أئمة الهدى والصلاح من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولذلك فليس من المعقول ألا يُبيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ما يُشكل عليهم أو ما يحتاج لبيان، وليس من المعقول أيضا أن يترك هؤلاء الأفاضل شيئا من القرآن دون أن يفهموه ويدركوا مراد الله فيه من غير تكلف ولا إفراط ولا تفريط، فقد بيّن رسول الله ما يحتاج لبيان، وكان الصحابة يسألون عما لا تدركه أفهامهم مما يحتاج لعمل وتطبيق.

وهذا النوع من البيان (وهو بيان المعاني) يمكن تقسيمه بعدة اعتبارات، باعتبار **سبب البيان**، وباعتبار **محتوى البيان**، وباعتبار **طريقة البيان**، وباعتبار **الاحتياج للبيان**، وباعتبار **كونه بيانا حقيقيا للنبي صلى الله عليه وسلم أو حكميا**.

١- البخاري، كتاب التهجد (١١٦٢).

التقسيم باعتبار سبب البيان:

١- بيانه صلى الله عليه وسلم للقرآن بالسنة ابتداء من غير سؤال

كتحريم لحوم الحمر الأهلية وزواج المتعة ونكاح المرأة على عمّتها وخالتها وأمثال ذلك.

ومن أمثلة ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قيل لبني إسرائيل ﴿ **ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ** ﴾ (البقرة:٥٨)، فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا: حطة "حبة في شعرة"[١]

وعند البخارى أيضا، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم " من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته، مثل له ماله يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، يأخذ بلهزمتيه - يعني بشدقيه - ثم يقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا ﴿**وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ**﴾ (آل عمران:١٨٠) [٢]

٢- ما وقع بينه صلى الله عليه وسلم وبين الكفار والمنافقين وأعداء الإسلام من أحداث

فقد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم، وهو في قبة يوم بدر: اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم، فأخذ أبو بكر بيده، فقال: حسبك يا رسول الله، فقد ألححت على ربك - وهو في الدرع - فخرج وهو يقول: ﴿**سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ، وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ * بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ، وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ** ﴾ (القمر٤٥- ٤٦).

٣- دعوة الكفار والملوك للإسلام

ففي الصحيحين من حديث أبي سفيان – رضى الله عنه قال:... ثم دعا بكتاب رسول الله فإذا فيه " بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم. سلام على من اتبع الهدى. أما بعد؛ فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين (أي أتباعه ورعاياه الذين يتابعونه على الكفر). و ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾ (آل عمران:٦٤) [٣]

٤- جوابا لسؤال الصحابة – رضى الله عنهم –

ومن أمثلته، ما رواه الترمذي عن عبادة بن الصامت وأبي الدرداء في سؤالهما عن البشرى في قوله تعالى: ﴿ **لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ (يونس:٦٤) جاء في حديث أبي الدرداء: أن

١- البخارى ، كتاب التفسير (٤٤٧٩).

٢- البخارى ، كتاب التفسير (٤٥٦٥).

٣- البخارى ، كتاب التفسير (٤٥٥٣) ومسلم ، كتاب الجهاد والسير(٤٦٠٧).

رجلاً من مصر سأله عن هذه الآية، فقال له أبو الدرداء: ما سألني عنها أحد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ما سألني عنها أحد غيرك منذ أنزلت، هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو تُرى له[1].

٥- جواب ما يشكل على بعض المسلمين من معاني القرآن

ففي الصحيحين عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من نوقش الحساب عُذب"، قالت: قلت: أليس يقول الله تعالى ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (الانشقاق:٨)، قال " ذلك العرض".[2]

٦- تعليم الصحابة وإرشادهم وتنبيه من أخطأ منهم ببيان الصواب له في كتاب الله تعالى

ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان، ولا اللقمة ولا اللقمتان، إنما المسكين الذي يتعفف. اقرؤوا إن شئتم – يعني قوله –﴿لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ (البقرة:٢٧٣)[3].

وفي صحيح البخاري عن أبي سعيد بن المعلى – رضي الله عنه – قال: كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله إني كنت أصلي، فقال: ألم يقل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ (الأنفال:٢٤)... الحديث[4].

٧- بيان بعض المعاني التي لا تُدرك إلا بوحي من الله تعالى كالإخبار عن الغيب

ففي الصحيحين من حديث ابن عباس –رضي الله عنه– قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: " يا أيها الناس، إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلا" ثم قال: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٤)، ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم، ألا وإنه يجاء برجال من أمتي، فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصيحابي! فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ (المائدة:١١٧) فيقال لي: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم "[5].

١- من مقال بعنوان مصادر التفسير: التفسير بالسنة لمساعد الطيار.

٢- البخاري، كتاب الرقاق (٦٥٣٦)، ومسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٧٢٢٥).

٣- البخارى، كتاب التفسير (٤٥٣٩)، ومسلم، كتاب الزكاة (٢٣٩٤).

٤- البخاري، كتاب التفسير (٤٤٧٤).

٥- البخارى، كتاب التفسير (٤٦٢٥)، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٧٢٠١).

وكذلك في الصحيحين، من حديث أبي هريرة – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها، فذاك حين ﴿**لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ**﴾ (الأنعام:١٥٨)[١].

التقسيم باعتبار محتوى البيان:

كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عرباً خُلَّص، كما أنهم كانوا أصحاب قلوب نقية، وعلم صافي، تشربوه من منبعه الأصلي، فلم يكن لديهم حاجة لتفسير وشرح كل ما ورد في كتاب الله، فكان جل دور النبي صلى الله عليه وسلم هو توضيح ما ليس واضحا، أو تأكيد وتطبيق ما ورد في القرآن، فكان بيانه صلى الله عليه وسلم على النحو التالي:

١- تقرير محتوى القرآن دون زيادة أونقصان

كأمره صلى الله عليه وسلم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والصيام والحج، وغيرها مما كان بمثابة الإعادة والتوكيد لما جاء في القرآن. وهذا يقطع احتمال التأويل بغير مقصود الشرع.

٢- تطبيق محتوى القرآن

كتطبيقه صلى الله عليه وسلم لآية الوضوء عمليا لتعليم الصحابة والأمة من ورائهم.

٣- تبيين ما جاء في القرآن، وهذا يشمل:

أ. تفسير المفردات (بيان الغريب) وهذا قليل[٢]

ومثاله ما جاء في البخارى من حدث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعى نوح يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك يا رب، فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لأمته هل بلغكم فيقولون ما أتانا من نذير، فيقول من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته. فتشهدون أنه قد بلغ، ويكون الرسول عليكم شهيدا ، فذلك قوله جل ذكره ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ (البقرة:١٤٣)، والوسط: العدل.[٣]

ب. تبيين المجمل

المجمل هو من نوع "غير واضح الدلالة"، ولا يوجد إجمال في القرآن إلا وبينه صلى الله عليه وسلم، فالإجمال يكون في نفس النص، أما في مجموع النصوص فلا إجمال. ومثال ذلك بيان كيفية الصلاة ومواقيتها وشروطها وأركانها ومبطلاتها، بما يبين معنى ﴿**وأقيموا الصلاة**﴾، وبيان مقادير الزكاة وكيفية أدائها وأنصبتها وغير ذلك مما يبين معنى ﴿**وآتوا الزكاة**﴾، وكذلك الصيام والحج والجهاد وكثير من الأحكام العملية.

١- البخارى ، كتاب التفسير (٤٦٣٥) ، ومسلم ، كتاب الإيمان (٣٩٦).

٢- التفسير النبوي (٦٧/١).

٣- البخاري ، كتاب التفسير (٤٤٨٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ج. تقييد المطلق

قال تعالى: ﴿**مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ**﴾ (النساء:١١) فكلمة "وصية" هنا أفادت الإطلاق لأنها نكرة في سياق الإثبات، فجاءت السنة وقيدت ذلك بالثلث كحد أقصى للوصية.

د. تخصيص العام

قال تعالى بعدما ذكر المحرمات من النساء: ﴿**وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ**﴾ (النساء:٢٤)، فجاءت السنة بتخصيص ذلك بإخراج الجمع بين المرآة وعمتها والمرأة وخالتها، ففي الصحيحين عن أبي هريرة – رضى الله عنه – قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ لا يجمع بين المرأة وعمتها، ولا بين المرأة وخالتها﴾[١].

وكذلك قوله تعالى ﴿**يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ**﴾ (النساء:١١) فخصصت السنة ذلك بإخرج القاتل فلا يرث من قتله قال صلى الله عليه وسلم: "لا يرث القاتل"، وبإخراج النبي صلى الله عليه وسلم فلا يُورث قال صلى الله عليه وسلم "لا نوْرَثُ ما تركنا صدقة"[٢].

هـ. رد المتشابه للمحكم

ومن أمثلة ذلك بيان قوله سبحانه: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾ (الأنعام:٨٢)، ففي حديث ابن مسعود – رضي الله عنه – قال: لما نزلت ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ**﴾ (الأنعام:٨٢) شق ذلك على المسلمين فقالوا: يا رسول الله أينا لا يظلم نفسه؟ قال: ليس ذلك إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه ﴿**يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾(لقمان:١٣).

و. توضيح المُشكل

كتوضيحه صلى الله عليه وسلم لما أشكل على عدي بن حاتم في معنى قوله تعالى ﴿**حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ**﴾ (البقرة:١٨٧) وأنه بياض النهار وسواد الليل.[٣]

ز. تعيين المبهم.

ومثاله ما جاء في الصحيحين من حديث علي – رضى الله عنه – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الأحزاب: "ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس "[٤]، فعين الصلاة الوسطى بأنها صلاة العصر.

١- البخارى ، كتاب النكاح (٥١٠٩) ، ومسلم ، كتاب النكاح (٣٤٣٦).

٢- البخاري ، كتاب المغازي (٤٠٣٦) ، ومسلم ، كتاب الجهاد والسير(٤٥٨١).

٣- البخارى ، كتاب التفسير(٤٥١٠) ، و مسلم ، كتاب الصيام (٢٥٣٣).

٤- البخارى ، كتاب التفسير (٤٥٣٣) ، كتاب الجهاد والسير (٢٩٣١) ، ومسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة (١٤٢٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

ح. أن تُبين السنة القرآن عن طريق التفريع على أصل ورد في القرآن (عن طريق القياس)[1]

ومن أمثلة ذلك:

قوله تعالى﴿ **وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ**﴾، وقال أيضا ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ**﴾، فهاتان الآيتان قررتا أصلا، وهو منع أكل أموال الناس بالباطل وجاء الرسول **صلى الله عليه وسلم** وفرع على هذا الأصل، فحرم بعض صور من البيع التي فيها أكل لأموال الناس بالباطل فنهى **صلى الله عليه وسلم** عن بيع الثمر قبل بدو صلاحه، ونهى **صلى الله عليه وسلم** عن بيع الثمر قبل أن يحمر أو يصفر، وعندما سئل عن سبب النهي قال: أرأيت إن منع الله سبحانه وتعالى الثمرة بِمَ تستحل مال أخيك، أي الجواب بالباطل.

وقوله تعالى ﴿**وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا**﴾ كان الربا الشائع عند العرب هو ربا الديون، وصورته أن يقرض رجل رجلا مبلغا من المال لمدة معينة بدون زيادة، فإذا حل الأجل طلب الدائن من المدين المبلغ، فإن لم يسدد المدين ما عليه قال له الدائن: إما أن تقضيني حقي وإما أن تُربي.ولما كانت الحكمة من تحريم الربا أن فيه زيادة بلا عوض جاءت السنة وألحقت بالصورة التي كانت معروفة في الجاهلية أنواعا أخرى من البيوع، فيها زيادة بلا عوض واعتبرتها من الربا، فقال **صلى الله عليه وسلم**: الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعر، والتمر بالتمر، مثلا بمثل سواء بسواء يدا بيد، فمن زاد أو استزاد فقد أربى.

وقوله تعالى ﴿ **وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ** ﴾

بينت هذه الآية بعض المحرمات من الرضاعة، ثم ألحق النبي **صلى الله عليه وسلم** بالأم والأخت من الرضاعة سائر القرابات اللواتي يحرُمن بالنسب، كالعمة والخالة... وهذا إلحاق بطريق القياس باعتبار نفي الفارق المؤثر بين الأصل وبين الفرع، فقال **صلى الله عليه وسلم**: يحرُم من الرضاع ما يحرُم من النسب.

٤- الاستقلال بالتشريع[2]

وذلك بأن تستقل السنة بحكم لم يأتِ في القرآن مثل تحريم الحمر الأهلية.

وهذا القسم وقع فيه خلاف بين العلماء ما بين قائل به وبين قائل بأن كل ما في السنة يرجع للقرآن كما رجحه الشاطبي في الموافقات، وانتصر له ورد على أدلة القائلين بغير ذلك.

١- هذه النقطة والأمثلة المذكورة فيها مقتبسة من مجلة البحوث الإسلامية العدد العشرون - الإصدار : من ذو القعدة ١٤٠٧ إلى صفر لسنة ١٤٠٨هـ.

٢- لم أذكر تفصيلا في هذه النقطة لأنها خارج موضوع البحث ، ولكن وضعتها لتكتمل القسمة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

التقسيم باعتبار: طريقة البيان:

١- البيان بالقول

وهو القسم الأكبر من البيان النبوي للقرآن.

ومن أمثلة ذلك بيان قوله سبحانه: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾، ففي حديث ابن مسعود – رضي الله عنه – قال: لما نزلت ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ**﴾ شق ذلك على المسلمين فقالوا: يا رسول الله أينا لا يظلم نفسه؟ قال: " ليس ذلك إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه ﴿**يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾.

وفَسَّرَ النبي عليه الصلاة والسلام أيضا الخيطَ الأبيض، والخيطَ الأسود في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ** ﴾ فَسَّرَها بأن الخيط الأبيض والخيط الأسود هو طلوع الصبح وذهاب الليل.

وفسر القوة في قوله: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ**﴾ بأن القوة الرمي فقال في تفسيرها " ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي ".

وفسر ﴿**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**﴾ بأن الزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم.

٢- البيان بالفعل

معلوم أن أفعاله صلى الله عليه وسلم يُقتدى بها من حيث هي دليل على أحكام الله، لا لذاتها على أنها أفعاله صلى الله عليه وسلم.[١]، ومن الأمثلة على البيان النبوي بالفعل، ما جاء في حديث جابر في صفة حج النبي صلى الله عليه وسلم: ".. حتى إذا أتينا البيت معه صلى الله عليه وسلم استلم الركن، فرمل ثلاثا ومشى أربعا، ثم نفذ إلى مقام إبراهيم، فقرأ ﴿**وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى** ۖ ﴾ (البقرة:١٢٥)، فجعل المقام بينه وبين البيت.." الحديث[٢]، فهذا بيان لقوله تعالى ﴿**وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى** ۖ ﴾ (البقرة:١٢٥) بالفعل.[٣]

١- الأفعال النبوية ، ١/٤٨.

٢- مسلم ، كتاب الحج (٢٩٥٠).

٣- ذكر د. خالد الباتلي عدة أمثلة على ذلك ، منها تفسير (وأنذر عشيرتك الأقربين) و تفسير (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) و تفسير (ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما) (التفسير النبوي ٥٥) ، وإن كان المثال الأخير الذي ذكر فيه قصة عمرو بن العاص عندما احتلم في ليلة شديدة البرد ، هو أقرب للتفسير بالإقرار منه للفعل.

٣- البيان بالإقرار

بإقراره صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص حينما سأله فقال: (يا عمرو، صليت بأصحابك وأنت جنب؟!) قال: قلت: نعم يا رسول الله، إني احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، وذكرت قول الله عز وجل: ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا** ﴾ (النساء: ٢٩)[١].

التقسيم باعتبار الاحتياج للبيان:

١- ما لا يحتاج لبيان لوضوحه

مثل تحريم الخمر والربا والزنا وكثير مما نزل وكان واضحا جليا لهم، فهم عرب خُلّص، وأصحاب عقول نوّرها الوحي، وصقلها صحبة خير الناس فهما صلى الله عليه وسلم، وأدرك مرادها نفوسهم النقية التقية، فلم يحتاجوا فيها لمزيد بيان. ولا أدل على ذلك من فهم عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس لتفسير قوله تعالى ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا**﴾.

فعن ابن عباس — رضي الله عنه – قال: كان عمر بن الخطاب– رضي الله عنه – يدني ابن عباس. فقال له عبد الرحمن بن عوف: إن لنا أبناء مثله، فقال: إنه من حيث تعلم، فسأل عمرُ ابنَ عباس عن هذه الآية: إذا جاء نصر الله والفتح، فقال: أجلُ رسول الله أعلمه إياه، قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم[٢].

٢- ما لا يحتاج لبيان لأنه مما استأثر الله بعلمه، ولم يتعبدنا بمعرفته

مثل كيفية الصفات الفعلية لله — عز وجل — ومثل كثير من الأمور الغيبية، وقد فهم الصحابة هذا جيدا، لذلك لم يعانوا مما عانى منه الخلف من اضطراب الفهم عندما دخلوا في أمور كان يكفيهم فيها التسليم، ككيفية استواء الله على عرشه، وكيفية نزول الملائكة من السماء، وغيرها مما خاضوا فيه الصعب والذلول، حتى حرَّجوا على أنفسهم، وضيقوا ما اتسع، واضطروا للذهاب لمذاهب الظلام من التأويل والتعطيل والتحريف والتبديل؛ ليتخلصوا مما ورطوا أنفسهم فيه، وكان يكفيهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير.

٣- ما يحتاج لبيان

وهو ما له علاقة بالمكلف من حيث أنه مكلف به، وكذلك ما يصح به اعتقاده، وهذا لا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم أبانه أحسن بيان، والأمثلة على ذلك كثيرة، مثل تفصيل أحكام الصلاة والزكاة والحج والصيام، والحدود والكفارات، والإيمان بالله واليوم الآخر والقدر وغيرها، والأمثلة عليها كثير.

١- ورواه أبو داود (٣٣٤) ، والبخاري معلقا ، قال الحافظ في الفتح (٥٨٩/١) : إسناده قوي اهـ . وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

٢- البخاري ، كتاب المناقب (٣٦٢٧) .

التقسيم باعتبار كون التفسير تفسيرا نبويا حقيقيا أو حُكميا:

التفسير النبوي حقيقة هو ما نُقل عن النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة من تفسير للآية، وقد سبق التعريف والكلام عنه، والحكمي، أي ما في حكم التفسير النبوي وهو ما نُقل عن الصحابة، واحتفت به قرائن تدل على أنه يأخذ حكم تفسير النبي صلى الله عليه وسلم.

١ – التفسير الحقيقي

وأمثلته هي التي سبق ذكرها في ثنايا البحث.

٢ – التفسير الحكمي، وينقسم إلى:

أ. ما كان من تفسير الصحابي لغيب لا مجال فيه للرأي

ب. أن يكون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ويكون مِثْله لا يخفى[١]

ومثله ما جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنهما قالت: (كانت قريش ومن دَانَ دينها يقفون بالمزدلفة، وكانوا يسمّون الحُمْسُ، وكان سائر العرب يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيّه صلى الله عليه وسلم أن يأتي عرفات، ثُمّ يقفَ بها، ثُمّ يُفِيضَ منها، فذلك قوله تعالى :﴿**ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ**﴾[٢].

ج. أن يأتي عن الصحابي بألفاظ تشير للرفع مثل "يَرْفَعُهُ"، "يَنْمِيهِ"، "رِوَايَةً"، "يَبْلُغُ بِهِ"، "يَرْوِيهِ".[٣]

ومنه ما جاء في الصحيحين من حديث عائشة –رضي الله عنها– ترفعه، قال: "أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم"[٤]، رواه البخاري تحت باب ﴿**وهو ألد الخصام**﴾ (البقرة:٢٠٤).

د. أن تحتف به قرائن ترجح أن له حكم الرفع للنبي صلى الله عليه وسلم مثل الإجماع أو غيره على تفسير آية

ومنه ما رواه البخاري ومسلم في تفسير قوله تعالى ﴿**فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ**﴾ (البقرة:٢٣٩)، قال البخاري، حدثنا أبو العباس ، أخبرنا الربيع ، أخبرنا الشافعي ، أخبرنا مالك بن أنس ، عن نافع ، أن عبد الله بن عمر، كان إذا سئل عن صلاة الخوف، قال: " يتقدم الإمام وطائفة " قال: ثم قص الحديث، وقال ابن عمر في الحديث: فإن كان خوف أشد من ذلك، صلوا رجالا وركبانا مستقبلي القبلة، وغير مستقبليها"[٥] .

قال مالك: قال نافع: لا أرى عبد الله بن عمر ذكر ذلك إلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

١- تدريب الراوي ، ١/٢٧٧.

٢- البخاري ، كتاب التفسير (٤٥٢٠) كتاب الحج (١٦٦٥) ، ومسلم ، كتاب الحج (٢٩٥٤).

٣- تدريب الراوي ، ١/٢٨٥.

٤- البخاري ، كتاب التفسير (٤٥٢٣) ، ومسلم ، كتاب العلم (٦٧٨٠).

٥- البخاري ، كتاب التفسير (٤٥٣٥) ، ومسلم ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها (١٩٤٤).

هـ. أن يكون في أسباب النزول[1]

كقول جابر: كانت اليهود تقول: من أتى امرأته من دبرها في قبلها، جاء الولد أحول، فأنزل الله ﴿**نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ**﴾ (البقرة: ٢٢٣)[2].

*****

١- تدريب الراوي ، ٢٨٨/١.

٢- البخاري ، كتاب التفسير(٤٥٢٨) ، ومسلم ، كتاب النكاح (٣٥٣٥).

الفصل الثالث: هل فسر النبي صلى الله عليه وسلم كل القرآن

كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عربا خُلص وقد اجتمع فيهم من الصفات التي تجعلهم يفهمون من كلام الله ما لا يتسنى لغيرهم فهمه فقد اجتمع فيهم ما يلي:

١- قوة اللغة العربية

فقد عاشوا أقوى عصور اللغة التي كان الشعراء فيها يحبرون قصائدهم تحبيرا؛ ليصلوا بها إلى الغاية القصوى (مما يستطيعه البشر) من البلاغة والبيان، فعاصروا "مدرسة التقليد"[١] التي جمعت كل ما سبق من المدارس الأدبية، وقدموا صورا جديدة من الشعر العربي القائم على المزج البارع لكل ماسبق من الشعر والأدب، وقد وصف النقاد هذه المدرسة بالحذق والإتقان، وكان من الصحابة أنفسهم من هو على رأس هذه المدرسة **كحسان بن ثابت والخنساء**.

وعاصروا من برع في الخطابة والنثر والمنافرات وغيرها، حتى أن الخطابة تفوقت على الشعر في هذا العصر، وأصبح الخطباء أعلى قدرا من الشعراء، وكان لكل قبيلة خطباؤها، وليس أدل على ذلك من خُطبة أبي طالب عندما تقدم النبي صلى الله عليه وسلم لخِطبة خديجة – رضى الله عنها –.

وأضف لذلك ظهور الأدب في الوصايا والحكم والأمثال التي كان فيها التركيز البالغ والإيجاز الشديد، فكانوا بمعاصرة كل هذا بل والمشاركة فيه، من أكثر أجيال العرب تهيئةً من الناحية اللغوية لفهم عربية القرآن، فكانوا بعربيتهم يفهمون العموم والخصوص والإطلاق والتقييد ودلالات الألفاظ وغيرها.

٢- صفاء الذهن

بسبب الحياة البسيطة التي كانوا يعيشونها في مكة، وأن الله أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف، في حين كان الناس يُتخطفون من حولهم، وهذه الحياة الهادئة البدائية التي لم ينكدها رافهية العيش والقصور والزخرفة أعطتهم أذهان صافية قادرة على الاستيعاب والفهم والحفظ أكثر من غيرهم الأمم.

٣- صحبتهم للمعلم الأكبر صلى الله عليه وسلم

الذي وصل القمة البشرية في الفهم والعلم والحكمة، فقد كان صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى يعيش بينهم، يسمعون كلماته ويرون تحركاته، وأخذوا منه العلم مشافهة لا نقلا، وعلَّمهم الكتابَ والحكمةَ، وعلَّمهم مقاصدَ الشريعة وطُرقَ الفهم والاستنباط والقياس.

٤- التقوى والورع والزهد

وهذا الذي زرع فيهم نفوسا نقية تقية عامرة بخشية الله والخوف منه، وملازمتهم العبادة من القيام والصيام والذكر، وغيرها مما يرتقي بالنفوس من العيش في الحياة الأرضية إلى العيش في الحياة العلوية، مما رزقهم بركة في الفهم والعلم، فقد قال تعالى:

١- يقسم النقاد العصر الجاهلي لثلاث مدارس شعرية كبرى وهي: مدرسة الطبع من بعد حرب البسوس ، ومدرسة الصنعة من بعد حرب داحس والغبراء ، ومدرسة التقليد من بعد معركة ذي قار ، والثالثة هي التي جمعت مميزات السابقتين وزادت عليها ببراعة عالية ، وهي التي عاصرها الصحابة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ (الأنفال:٢٩)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحديد:٢٨).

فكان دور النبي صلى الله عليه وسلم أن يوضح لهم ما لم يكن واضحا فقط، ولم يكن في حاجة لأن يفسر القرآن كاملا لوضوح أكثره عندهم بما ركبه الله فيهم من فهم وإدراك، ولكننا نقطع بأن تفسير القرآن كان كله واضحا عند مجموع الصحابة، وكان دور النبي صلى الله عليه وسلم في بيان المجمل، وتخصيص العام الذي يحتاج لتخصيص، وتقيد المطلق الذي يحتاج لتقييد وتوضيح المشكل، ورد المحكم إلى المتشابه، والنسخ (عند من يقول به)، ولو فسر النبي صلى الله عليه وسلم القرآن كاملا لنُقل إلينا ذلك، وفي هذا الموضوع تفاصيل يحسن العودة إليها في مظانها.

*****

الفصل الرابع: مظَانُّ تفسير النبي صلى الله عليه وسلم

الطريق الوحيدة لمعرفة التفسير النبوي هي الرواية عن النبي **صلى الله عليه وسلم**، فهذا لا مجال فيه للرأي والاجتهاد، ومظان هذه الرويات هي:

١- دواوين التفسير التي اهتمت بذكر الروايات الواردة في التفسير عموما، كتفسير الطبرى، والصنعانى، ومصنف عبد الرزاق، والدر المنثور، وتفسير ابن أبي حاتم[١].

٢- الرويات المنقولة عن ذلك في كتب السنن والمسانيد والصحاح وغيرها. ويتقدمها صحيح البخارى، فقد وضع في صحيحه كتاب التفسير وكتاب فضائل القرآن، وأودع بهما الكثير من التفسير النبوي للقرآن. أما صحيح مسلم فقد وضع كتابا صغيرا في التفسير في آخر صحيحه، غير أن التفسير مبثوث في ثنايا صحيحه تحت أبواب أخرى. وكذلك الترمذي، أما أبو داود فلم يضع في سننه بابا للتفسير.

*****

١- مستفاد من محاضرات أكاديمية التفسير في مادة تاريخ التفسير.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المراجع

[١] **الرسالة**، الإمام الشافعي،مكتبة الشروق الدولية، تحقيق أحمد محمد شاكر.

[٢] **الموافقات**، الشاطبي، دار ابن عفان، تعليق مشهور بن حسن آل سلمان.

[٣] **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، الطبري، هجر للطباعة والنشر، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي.

[٤] **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، السعدي، دار ابن الجوزي، تقديم عبد الله العقيل وبكر أبو زيد.

[٥] **التفسير النبوي**، خالد بن عبد العزيز الباتلي، دار كنوز أشبيلية.

[٦] **الجرح والتعديل**، ابن أبي حاتم، دار الكتب العلمية.

[٧] **شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية**، مساعد الطيار، دار ابن الجوزي.

[٨] **مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول**، التلمساني، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، تحقيق محمد علي فركوس.

[٩] **صحيح البخاري**، الإمام البخاري، مؤسسة الرسالة، مركز الرسالة للدراسات وتحقيق التراث، خرج أحاديثه وعلق عليه عز الدين صلي وأخرون.

[١٠] **صحيح مسلم**، الإمام مسلم النيسابوري، مؤسسة الرسالة، مركز الرسالة للدراسات وتحقيق التراث، خرج أحاديثه وعلق عليه ياسر حسن وأخرون.

[١١] **سنن أبي داود**، الإمام أبوداود السجستاني، مؤسسة الرسالة، مركز الرسالة للدراسات وتحقيق التراث، خرج أحاديثه وعلق عليه ياسر حسن وأخرون.

[١٢] **مجلة البحوث الإسلامية الصادرة عن الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية**، العدد العشرون.

[١٣] **الأفعال النبوية**، محمد سليمان الأشقر، الرسالة.

[١٤] **الاعتبار في بيان الناسخ والمنسوخ من الآثار**، أبو بكر الحازمي، دائرة المعارف العثمانية.

[١٥] **الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث**، الحافظ ابن كثير، مكتبة المعارف، شرح أحمد شاكر، تعليق ناصر الدين الألباني.

[١٦] **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، ابن القيم الجوزية، دار ابن الجوزي، قرأة وقدم له وعلق عليه مشهور حسن.

[١٧] **جامع بيان العلم وفضله**، ابن عبد البر، دار ابن الجوزي، تحقيق أبو الأشبال الزهيرى.

[١٨] **تدريب الراوى في شرح تقريب النواوي**، جلال الدين السيوطي، دار العاصمة، تحقيق طارق بن عوض الله.

*****

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفهرس

مقدمة ٢
مشكلة البحث ٢
حدود البحث ٢
أهداف البحث ٢
منهج البحث ٢
خطة البحث ٣
تمهيد ٤
تحرير مصطلح "التفسير النبوي للقرآن" ٤
منزلة السنة من القرآن ٤
الفصل الأول: بيان القرآن الكريم هو مهمة النبي صلى الله عليه وسلم ٥
بيان القرآن هو الوظيفة الأساسية للنبي صلى الله عليه وسلم ٥
بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه كل ما يحتاج لبيان ٧
نكتة ٧
الفصل الثاني: طرق بيان النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن الكريم ٨
أولا: بيان الألفاظ ٨
ثانيا: بيان المعاني ٩
التقسيم باعتبار سبب البيان: ١٠
التقسيم باعتبار محتوى البيان: ١٢
التقسيم باعتبار: طريقة البيان: ١٥
التقسيم باعتبار الاحتياج للبيان: ١٦
التقسيم باعتبار كون التفسير تفسيرا نبويا حقيقيا أو حُكميا: ١٧
الفصل الثالث: هل فسر النبي صلى الله عليه وسلم كل القرآن ١٩
الفصل الرابع: مظَانُّ تفسير النبي صلى الله عليه وسلم ٢١
المراجع ٢٢
الفهرس ٢٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

هذا الكتاب منشور في